

## مارب في

## كتابات الهمداني

د. أنمار نزار الحديثي

قسم الآثار والسياحة، كلية التربية

والآداب والعلوم / مارب - جامعة صنعاء

## مقدمة:

بدأ اهتمامي بروايات الهمداني عن مارب منذ بدأت التدريس في كلية التربية والآداب والعلوم بمارب، ورحت أتابع ما ذكره من روايات عنها في مؤلفيه صفة جزيرة العرب والإكليل في محاولة لتكوين تصور لمارب عصره وصولاً لتصور وضعها الأقدم<sup>(1)</sup>. ثم مقارنة كل ذلك بما موجود على الأرض الآن. وللأمانة كان لتشجيع الدكتور نزار الحديثي الذي اطلع على هذا الاهتمام دوراً كبيراً في عرض هذا الموضوع في بحث أشارك فيه في ندوة الهمداني فقد ناقشنا كثيراً فكرة البحث وما يتضمن من الأفكار.

تهدف الورقة إلى معرفة مدى تغطية روايات الهمداني لمارب، والوقوف على مصدره فيما أورد من معلومات، قياساً إلى الوضع القائم. غير إن صعوبة التجوال في المنطقة حدد مرونة المقابلة بين روايات الهمداني والواقع الفعلي من خلال الوقوف على ما فيه من شواخص ومعرفة ما يقع منها خارج رواية الهمداني، وأبقى البحث في حدود محددة بشكل كبير. وقد وجدت إن المقابلة بين رواياته وما

(1) آخر وثيقة يمكن أن نعتمد في معرفة مارب القديمة هي كتابة أبرهة التي تعود إلى القرن السادس الميلادي، وقد اعتمدت النص الذي نشره أ.د. جواد علي رحمه الله، وترجمته في مجلة المجمع العلمي العراقي.

ورد في الدراسات الأثرية، ومعلومات الرحالة، قد يسد بعض الفجوة غير أن طغيان الوصف الموقعي الذي تحدد بالمعبد، جعل المقابلة غير مجدية.

زار مارب رحالة ومنقبون هواة ومحترفين قدموا وصفا للسد. أمثال أرنو وجلالز<sup>(2)</sup> من الأجانب. ومن العرب أمثال نزيه العظم<sup>(3)</sup> وأحمد فخري<sup>(4)</sup> وآثاريين يمينيين أمثال يوسف محمد عبدالله<sup>(5)</sup> وعبدالله الشيبه<sup>(6)</sup> ومؤرخين عرب أمثال جواد علي<sup>(7)</sup> ومحمود جلال العلامات<sup>(8)</sup>، والقائمة طويلة، ولكن يبقى الهمداني صاحب ريادة فيما قدم من روايات عن اليمن سواء تاريخية أو جغرافية أو ما ينضوي تحت صنوف المعرفة الأخرى، وربما لو أن مؤلفاته وصلت إلينا كاملة لوقفنا على منهجيته بشكل أدق.

لحظت في أثناء إعداد هذه الورقة، كم هي كبيرة الحاجة إلى كتابة عربية لتاريخ اليمن، وكم هي كبيرة الحاجة إلى استخلاص لما ورد في النقوش من أسماء مواضع وتثبيتها على الأرض، وإصدار أطلس يمني تاريخي. يفرض ضعف الدقة في قراءة أو تحديد مواقع بعض الشواخص القديمة هذه الحاجة.

## عرض عام لروايات الهمداني

### الرواية الأولى

قدّم الهمداني روايته الأولى عن مارب في كتاب صفة جزيرة العرب في أربعة مواضع:

الأول: وصفها بقوله: "مدينة سبا بمارب من أرض اليمن".<sup>(9)</sup>

(2) فخري: أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة د. هنري رياض ود. يوسف محمد عبد الله، (اليمن: وزارة الإعلام والثقافة، 1988م)، ص 95، 97، 117؛ نور الدين: عبد الحليم، مقدمة في الآثار اليمنية، (اليمن: جامعة صنعاء، 1985)، ص 135، 173. أرنو أول من أشار إلى نقش النصر؛ الشيبه: عبدالله حسن، تاريخ اليمن القديم، (صنعاء: مكتبة دار الأفاق، 1999)، ص 16، 144. وجلالز زار مدينة مارب عاصمة دولة سبا القديمة.

(3) الشيبه، تاريخ، ص 156.

(4) فخري، رحلة، ص 89 وما بعدها.

(5) عبدالله: يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط2، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1990)، ص 69-102.

(6) الشيبه، تاريخ، ص 96-100، ص 119-120.

(7) علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: منشورات الشريف الرضي، بدت)، ص 306، 322، 343-347.

(8) لم أستطيع الحصول على كتاب محمود جلال العلامات لكن اعتمد الحميري في رسالته على معلومات لوصف السد بشكل كامل عليه. انظر: ناصر سعيد عبدالله، سد مارب، (جامعة الملك سعود: كلية الآداب - قسم الآثار والمتاحف، 1411).

(9) الهمداني، الصفة، ص 46، 64.

الثاني: حدد فيه موقعها اعتمادا على ما ورد عند بطليموس في وسط الإقليم الأول، وحدد عرضها وطولها.<sup>(10)</sup>

الثالث: قدّم لها وصفا تضاريسيا، فوصف وادي أذنه ومصادره من الأودية الأخرى، وأفاض في العرض.<sup>(11)</sup>

الرابع: تحدّث فيه عن مخلاف مارب، وقدم عرضا لمكونات المخلاف الإدارية.<sup>(12)</sup>

الخامس: ذكر الفلجيين في موضع حديثه عن فلج اليمامة وليس ضمن رواياته عن مارب.

لا يبدو على معلوماته أنها مباشرة، فقد خلت من عباراته الدالة على ذلك في أماكن مختلفة من كتابه، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار رواياته الأخرى التي ورد فيها ذكر مارب فبالإمكان القول أنه استقاهها من الشعر إلى حد كبير وتحديداً من قصيدة الرداعي<sup>(13)</sup> وأنه أغناها بمعلومات مكملّة من مصادر الأخرى.

#### الوصف التضاريسي لمارب:

يبدأ الهمداني رواياته عن تضاريس مارب من خلال عرضه لوادي أذنه (ذنة) واتجاه جريانه، والفرع التي تغذيه، ثم يذكر مواقع متنوعة مختلفة في طبيعتها، ويهمل فروع الوادي وجرياتها، ويذكرها على الإجمال عندما يشير إلى أنها تصب إلى موضع السد بين مازمي مارب.<sup>(14)</sup> ويظهر من خلال عرضه لفرع وادي أذنه أنها تنبع من (رداع)، و(ردمان) و(قرن)، و(ذمار)، و(كومان) و(الحداء)، ومخلاف (ذي جره) و(جهران)، وجنوبي بلد (خولان)، وهي التي أشار إلى مصباتها عند السد. أما سيول (السويق) و(حيانين) فتصب أسفل الجنة اليماني فتسقي بعد الجنتين أرض السبأيين والحرجة.<sup>(15)</sup>

#### الوضع الإداري لمارب

وصف الهمداني مارب بالمخلاف، وذكر من مواضعه:

(10) المصدر نفسه، ص 46، 49، 53، بينها وبين عدن أبين عشر مراحل.

(11) المصدر نفسه، ص 151-154.

(12) المصدر نفسه، ص 203-204. بدأ الهمداني روايته عن مخاليف اليمن بدون عنوان، وبدأ بمخلاف بني عامر، وعاد ثانية في ص 193 فذكر مخلاف شبوة، ويبدو على بحثه التناثر، وربما يفيد العود إلى نسخ المخطوط لضبط الموضوع.

(13) المصدر نفسه، ص 327، 328، 334، 343.

(14) الهمداني، الصفة، ص 153.

(15) المصدر نفسه، ص 151-153.

### أولاً- جنوب مارب

1. الجبل لبني مالك من مراد وبني ظلية.
2. قائفة
3. فجاء ورأسها جبل دقرار
4. السوق
5. تحتم
6. أسفل رحبة ورحابة

### ثانيلاً شمال مارب

1. نهج الجوف
2. العوهل
3. هينا
4. صرواح
5. موضع

### ثالثاً شرق مارب

1. رحابة
2. الجنتين
3. الفلجيين<sup>(16)</sup>
4. أرض السبأيين
5. الحرجة
6. حزمة البشريين
7. الروضة
8. نهية دغل في طرف صيهده
9. جبل الملح

### رابعاً قصر سلحين والهجر والقشيب<sup>(17)</sup>

### خامساً المذاب في عمدان<sup>(18)</sup>

سادساً- وصف أعمدة العرش السفلى، وقال أنها "قائمة إلى اليوم... كل عمود منها له ثقب في الصفا ثم القيم"<sup>(19)</sup> أسفله وصب بينهما القطر.<sup>(20)</sup>

### الرواية الثانية

وردت في الجزء الثامن من كتاب الإكليل،<sup>(21)</sup> وتضمنت المعلومات الآتية:

(16) الهمداني، الصفة، ص272، كرّر ذكر (الفلجان) جبليين في مارب.

(17) الهمداني، الإكليل، 76/8، 78. وسلحين قصر بلقيس.

(18) المصدر نفسه، 82/8.

(19) الكلمة غير واضحة المعنى والأرجح أنها أنقم.

(20) الهمداني، الإكليل، 78/8. هكذا ورد النص في النسخة المعتمدة.

(21) المصدر نفسه، 82-73/8.

1. مارب مسكن سبأ.
2. الجنتان عن يمين السد ويساره وهما غامرتان.
3. مقاسم الماء من مذاخر السد فيما بين الضياع" قائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس".
4. بناء أحد الصدفين باقيا وهو الذي يخرج منه الماء قائما بحاله.
5. وقع الكسر في العرم وقد بقي من العرم شيء مما يصالي الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمس عشرة ذراعا.
6. وكان العرم مستندا إلى حائط واثر ما بين عضاد بالمذاخر بمعاذب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر.
7. إن بانيه لقمان بن عاد بن الكبر، وفي رواية أخرى بنته حمير والازد بن الغوث.

يبدو إن الهمداني رغم المباشرة العيانية بحسب مفرداته المستخدمة الدالة على مشاهدته السد، لم يركز على تفاصيل السد، وجاءت معلوماته شحيحة عن مثل هذا المعلم الكبير الذي قال عنه بعض الغربيين لو أن الكتاب الكلاسيكيين زاروا السد لعدوه من عجائب الدنيا السبعة، ويرجع ذلك ربما إلى ظروفه السياسية التي كان يمر بها إضافة إلى ما أكتنف رحلته الطويلة للوقوف على جغرافية اليمن من صعوبات حالت دون إعطاء صورة واضحة أو شرح وافي على الأقل لمعلم حضاري كبير مثل سد مارب.

نجد صورة أخرى لمثل هذا النقص في ذكر مدينة مارب القديمة وأسوارها و معبد (أوام) ومعبد (العرش) بالرغم من أنه أشار إلى الأعمدة وأعطى وصفا ولو بسيطا لها، أعطى وصفا أكثر شمولية مثلاً عندما وصف ناعط وهو لا يرقى إلى مستوى مدينة مارب التي كانت أسوارها واضحة بصورة أدق مما وجدها فخري إلا إن الهمداني لم يشر إليها. اكتفى الهمداني بوصف أعمدة العرش ولم يعطي أية معلومة عن المعبد، مثل حدوده وجدرانه والحجارة المستخدمة في بناءه

يصعب إعطاء رأي قاطع فيما إذا كان الهمداني قد وصل إلى مارب وشاهد معالمها أم لا طالما أن مؤلفاته لم تظهر بشكلها الكامل، وإلى ذلك الحين فإننا لم

نر من المفيد مقارنة رواياته مع روايات من جاء بعده<sup>(22)</sup> قبل ظهور الاهتمام بالآثار وبدء التنقيبات.

يهمني هنا التوقف عند عبارة جاءت في رواية الهمداني، وقوله: "مدينة سبأ بمارب من أرض اليمن". وهي عبارة تضعنا أمام احتمالات منها أن هناك مدينة للسبائيين سبقت صرواح ومارب وهي تذكرنا بأسماء المدن في حضارة وادي الرافدين مثل سومر للسومريين وأكد للأكديين وأشور للأشوريين<sup>(23)</sup> فجميع الأقوام كانت لها مدن قديمة ترتبط بأسمائها قبل التحول إلى مناطق ذات مقومات حضارية ساهمت في تكوينهم لإمبراطوريات أو ممالك كبيرة ذات حضارة عظيمة. وسبأ من ضمن هذه الأقوام، ولنا أن نسأل أين كانت هذه المدينة في مارب وأين أثارها؟ هل تغير اسمها إلى مارب ومتى حصل هذا ولماذا؟ والجواب يحتاج إلى استكمال المسح الأثاري لجميع منطقة مارب أولاً.

تدلل محاولة الهمداني اعتماد تقسيم بطليموس للأقاليم على ثقافته وإطلاعه على علوم الحضارات السابقة غير أنه لم يتح لنا فرصة التمييز بين ما أخذه عن بطليموس وما كتبه هو.<sup>24</sup> وتظهر قيمة هذا التمييز في معرفة ما إذا كانت العبارة أعلاه نقلاً عن بطليموس أم هي عبارته؟

أصبح من المسلم به أن الهمداني مؤلفاً موسوعياً؛ فهو الأديب، والمؤرخ، والجغرافي، والأثاري، والفيلسوف. ولا ريب إننا نستطيع أن نصيف له لقب الجيولوجي إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار معرفته بالمعادن وتأليفه كتاب الجوهريتين، وإن لا نفضل الإشارة إلى أن العالم الموسوعي لا يقتسم، وبالتالي لا نستطيع أن ننسب الهمداني لعلم بذاته.

(22) لقد راجعت معظم الجغرافيين الذين كتبوا عن اليمن ولم أجد أحداً اشمل من روايات الهمداني وأخذنا ما جمعه الاكوع من البلدانين كمثال على ذلك الاكوع: إسماعيل بن علي، البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، ط3، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 2009)، ص 239، 229-240؛ الاكوع: إسماعيل بن علي، مخطايف اليمن، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 2009)، ص 51.

(23) الشخلي: عبد القادر عبد الجبار، المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، (بغداد: جامعة بغداد، بدت)، ص 141-142.

(24) لم استطع العثور على كتاب بطليموس في اليمن للتثبت من دقة العبارات المنقولة عنه.

## قائمة المصادر والمراجع:

- الأكوع: إسماعيل بن علي
- 1. مخاليف اليمن، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 2009).
- 2. البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، ط3، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، 2009).
- الحميري: ناصر سعيد عبدالله
- 3. سد مارب، (جامعة الملك سعود: كلية الآداب - قسم الآثار والمتاحف، 1411).
- الشيبه: عبدالله حسن
- 4. تاريخ اليمن القديم، (صنعاء: مكتبة دار الأفق، 1999).
- الشخيلي: عبد القادر عبد الجبار
- 5. المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة، (بغداد: جامعة بغداد، بدت).
- عبدالله: يوسف محمد
- 6. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط2، (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1990).
- علي: جواد،
- 7. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: منشورات الشريف الرضي، بدت)
- فخري: أحمد
- 8. رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة د. هنري رياض ود. يوسف محمد عبد الله، (اليمن: وزارة الإعلام والثقافة، 1988م).
- نور الدين: عبد الحليم
- 9. مقدمة في الآثار اليمنية، (اليمن: جامعة صنعاء، 1985).
- الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب
- 10. الإكليل، تحقيق محمد بن علي بن حسين الأكوع الحوالي، (اليمن: وزارة الثقافة والسياحة، 2004).
- 11. صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، (صنعاء: مكتبة الإرشاد، 1990).